الأمير مودود بن التونتكين
أتا بك الموصل
ودوره فى حركة الجهاد الإسلامى

د. / عفاف سيد صبره

حظيت حركة الجهاد الإسلامي ضد الغزاة الصليبيين، باهتمام المؤرخين المسلمين الذين سطروا عنها صفحات مجيدة، وأرخوا لشخصيات هامة برزت وتألقت فيها، كان من أبرزهم أفراد البيتين الزنكي والأيوبي.

وكذلك أرخوا لسلاطين المماليك الذين كان لهم شرف الإسهام في حركة الجهاد الإسلامي ضد هؤلاء الغزاة.

وقد أخذت على عاتقي أن أبرز للقارىء المسلم شخصيات كثيرة وفئات لعبت دوراً كبيراً في هذا المجال. لكنها لم تحظ بالاهتمام بل مر عليها المؤرخون مرور الكرام. وقد ألفت كتاباً يعرض لبعض هذه الفئات⁽¹⁾.

واليوم أقدم للقارىء الكريم شخصية إسلامية لعبت دوراً قيادياً كبيراً في حركة الجهاد الإسلامي. والشخصية التي عكفت على دراستها وبيان دورها الذي لعبته وما سببته للصليبيين من عجز ووهن، والتي ظهرت على مسرح الأحداث في السنوات من ٥٠٠هـ/١١٠٦م إلى ٥٠٧هـ/١١١٣م هي شخصية مودود ابن التونتكين ــ اتابك الموصل

والذي كان لمقدمه إلى بلاد الشام أثر كبير. بل كان مقدمه نقطة تحول في تاريخ حركة الإفاقة الإسلامية لما ترتب عليه من تطلع مودود لمهاجمة الصليبيين بالشام ذاتها، وإلى تفكيره في عزل الصليبيين بالشام عن الصليبيين الذين كانوا بإمارة الرها.

لقد كان وصول **مودود** إلى السلطة في الموصل في تلك الآونة بداية خير لتبلور حركة الجهاد الإسلامي التي وضع **مودود** لبناتها الأولى ثم أكملها بعده عماد الدين زنكي وإبنه **نور الدين محمود**، ووصلت إلى ذروتها على عهد صلاح الدين الأيوبي، أي أن **مودوداً** كان ممهداً لصلاح الدين(٢).

ويحق لنا قبل أن ندخل في تفاصيل الدور الذي لعبه الأمير **مودود** أتابك الموصل أن نعرِّف به.

الحقيقة أن معظم كتب التراجم الإسلامية قد أغفلت تحقيق شخصية **مودود**، فأصله غير معروف، إلا أنه من الأتراك، حتى أن تاريخ مولده لم يحقق أيضاً، وهناك أقوال ذكرها بعض المؤرخين حول نسبه، فبعضهم يرجح أنه أحد أخوة السلطان **محمد السلجوقي** (٤٩٨هـ/٥١٢هـ ـ ١١٠٤م/١١٨م)(٣)، وبعضهم يرجح أنه ابن أخ قوام الدولة كربوقا حاكم الموصل (٤٩٠ ـ ٤٩٦هـ/ ١٠٩٦ ـ ١١٠٢م)(٤)، ولكنهما لم يقيما أدلة على أقوالهما، أما ابن الأثير وأبو الفدا فيشيران إليه تحت اسم مودود بن التونتكين أو التونتاش، وكلاهما غير معروف(٥).

الموصل قبيل ظهور مودود :

ولعل الدور الذي لعبه موقع مدينة الموصل في هذه المرحلة، يعتبر ذا أهمية كبيرة أيضاً؛ لأنها تقع في شمال العراق فهي بذلك مفتاح إلى إمارة الرها، وكان على الشخصية التي تتقلد حكمها أن تتحمل تبعة الجهاد الإسلامي.

كانت أتابكية(٦) الموصل في بداية الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي أتابكية مستقلة، يعين حاكمها من قبل السلطان السلجوقي، وكان عليه تبعة القيام بالحرب المقدسة

ضد الصليبيين إلى جانب اضطلاعه بمهمة القضاء على حركات التمرد والعصيان، التي تقوم بها قبائل التركمان في أعالي دجلة وفي الولايات الشامية(٧).

وقد كلف أتابك الموصل أيضاً بمهمة جمع أمراء العراق وغرب فارس تحت إمرته، وكان يحكم بصفته أسباسلارا للسلطان السلجوقي(٨).

تتابع على أتابكية الموصل في ذلك العهد مجموعة كبيرة من الحكام كان من المفروض أن يبلغوا شأواً كبيراً في حركة الجهاد الإسلامي. لكن للأسف، فقد اتصف سلاجقة فارس وأتابكتهم في بداية الحروب الصليبية بالجمود، بحيث أنهم لم يتحركوا للحد من «توسع الفرنجة على الأقل في شمال العراق والشام وشرق آسيا الصغرى، ولم يحاولوا الاستفادة من الموقف السيىء الذي بات فيه الصليبيون عقب أسر بوهمند أمير أنطاكية»(٩).

بل إن النزاع احتدم بين الأخوين بركياروق ومحمد ابنى ملكشاه، واستمر النزاع من سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م إلى سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م.

وقد أدرك بركياروق النتيجة التي تؤدي إليها هذه المنازعات، فقرر تسوية المشاكل مع أخيه فانعقد الصلح بين الأخوين سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وبمقتضاه احتفظ بركياروق بالسيادة على ممتلكاته بفارس والعراق وتخلى لأخيه عن الأطراف الغربية، وتشمل ديار بكر والجزيرة والموصل وسلطنة الشام(١٠).

وقعت مهمة تعيين أتابك الموصل على عاتق السلطان محمد السلجوقي وكانت الموصل بعد وفاة أتابكها كربوقا سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م مصدر نزاع وصراع بين الأمراء الترك والتركمان(١١).

كان كربوقا مسيطراً على الموصل وماحولها مثل نصيبين وماردين وآمد وقام بإيواء عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة أقسنقر وكان قسيم الدولة آقنقر قد «قتل تاركاً زنكي وهو لايزال صبياً، له من العمر نحو عشر سنين»(١٢).

ظل عماد الدين زنكي مع كربوقا حتى وفاته في سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، واستمر مقيماً

بالموصل مع الأتابكة اللاحقين.

تولى موسى التركماني الذي كان يحكم حصن كيفا نائباً عن كبروقا، فكاتبه أهل الموصل ونجح في دخول المدينة فتصدى له جكرمش حاكم جزيرة ابن عمر وتقابلت قواتهما عند نصيبين، وهناك غدر جنود موسى التركماني به «وقام عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه حيث رماه أحدهم بنشابه فقتله»(١٣). لذلك نجح جكرمش في الاستيلاء على الموصل بدلاً من موسى التركماني. لكنه لم ينعم بزعامته زمناً طويلاً، إذ كان لزاماً عليه أن ينغمس فيما وقع في السلطنة السلجوقية بالشرق من منازعات.

حينما تحتم على بركياروق أن يقتسم أملاك أخيه محمد كانت الموصل من نصيب محمد بن ملكشاه. فحاول جكرمش أن يستقل بالموصل فأعلن أنه لايدين بالولاء إلا لبركياروق وحده وناوأ قوات محمد، غير أنه حدث في سنة ٤٩٩هـ/يناير ١١٠٥م أن توفى بركياروق، فانتقل ارثه كاملاً إلى أخيه محمد. ولما لم يعد لدى جكرمش عذر يتذرع به بادر بالإذعان واعلان الخضوع لمحمد الذي اكتفى في ذلك الوقت بإعلان صداقته، وانسحب بجيوشه صوب الشرق دون أن يغامر بدخول الموصل في موكب النصر(١٤).

تبدلت العلاقات بين السلطان محمد السلجوقي وجكرمش، مما دعا السلطان إلى انتزاع الموصل منه سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ومنحها مع امارتي الجزيرة وديار بكر إلى مغامر تركي يدعى جاولي سقاوة الذي كان يسيطر على البلاد التي بين خوزستان وفارس(١٥). كما قام السلطان محمد السلجوقي بتوليه جاولي سقاوة على كل بلد يفتحه، فاستولى على كثير من البلاد والأموال ولكنه لم يرسل شيئاً للسلطان محمد. كما امتنع عن الرد على رسله من أجل ارسال قواته لمساعدته في محاربة سيف الدولة صدقة بن مزيد(١٦). وأصر جاولي على موقفه خوفاً من الالتقاء بالسلطان.

وتشير المراجع إلى إساءة جاولي سقاوة لأهل الموصل، «حيث قد أخرج أهلها منها وأساء أصحابه السيرة فيها وارتكبوا كل محرم»(١٧). كما قام بالاتصال بالفرنج منتهزاً فرصة رغبة الأمراء الصليبيين في نداء بلدوين دي بورج الذي كان أسيراً في الموصل من أيام جكرمش وطلب من جوسلين ــ صاحب تل باشر ــ دفع مبلغ ستين ألف دينار والافراج عن الأسرى

المسلمين المعتقلين بالرها، لكن القدر لم يمهل جاولى ليحصل على هذه الغنيمة(١٨).

بداية ظهور مودود في الموصل :

كان شرف الدين مودود يعمل تحت إمرة السلطان محمد السلجوقي وعندما سمع السلطان محمد بسوء سيرة جاولى سقاوة في الموصل، أرسل إليه مودود ابن التونتكين ليرى أمره «فخاف جاولى من وصول مودود الذي قام بحصار جاولى مدة ثمانية شهور فأرسل جاولى إلى السلطان يقول له: «إنني لا أنزل، إلى مودود فإن أرسلت غيره نزلت فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولى»(١٩).

وقد كان هذا أول دور يظهر لمودود بن التونتكين، الذي بدأ نجمه يلمع بعد ذلك.

وعندما تمادى جاولى سقاوة في إساءته لأهل الموصل، قرر السلطان محمد عقب الانتهاء من قتل صدقه بن مزيد ضرورة تجهيز قواته للقضاء على جاولى وأسند هذه المهمة إلى مودود بن التونتكين على أن يساعده بعض القواد، منهم سكمان القطبي حاكم ميافارقين وأقسنقر البرسقى ونصر بن مهلهل بن أبى الشوك الكردى، وأبو الهجاء صاحب إربل(٢٠).

وصلت هذه القوة إلى الموصل، وعلى رأسها مودود في شهر رمضان سنة ٥٠١هـ. حيث كان جاولى في حروب خارجية «تاركاً زوجته بالمدينة المحصنة المحاطة بسور كبير حيث أسكنها القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الأتراك سوى غيرهم وقد استعدوا بالميره والأدوات والآلات»(٢١).

والعجيب أن زوجة جاولى قد أساءت هي الأخرى معاملة من معها مما دعاهم جميعاً إلى الخروج عليها. ووصف ابن الأثير هذا الموقف بقوله «فتمادى الحصار بأهلها من خارج والظلم من داخل حتى آخر المحرم»(٢٢).

وأخيراً اتفق الجميع على تسليم المدينة «فتعاون جماعة من الجصاصين على تسهيل المهمة لقوات مودود التي تحاصر المدينة حتى تم لهم دخولها، فنادى الأمير مودود بالسكون والأمن وأن يعود الناس إلى دورهم وأملاكهم».

وقد أمّن مودود زوجة جاولي، ثم تولى حكم مدينة الموصل أتابكا من قبل السلطان محمد السلجوقي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م.

كان وصول مودود إلى السلطة في الموصل في تلك الآونة بداية خير لتبلور حركة الجهاد الإسلامي التي وضع لبناتها الأولى ثم أكملها بعده عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود، حتى وصلت غايتها على عهد صلاح الدين الأيوبي.

وقد أمضى مودود السنة الأولى من حكمه يعمل على تثبيت أقدامه في إمارة الموصل.

والحقيقة أن المراجع العربية والأجنبية أغفلت ذكر أية أخبار عنه إلا عندما أمره السلطان محمد بالخروج لجهاد الصليبيين في جمادى الأولى سنة ٥٠٣هـ/٢٦ نوفمبر سنة ١١٠٩م(٢٣).

مودود وإمارة الرُّها الصليبية :

بدأ دور مودود في حركة الجهاد الإسلامي بإمارة الرها الصليبية، ومن المفيد أن نعطي لمحة قصيرة عن نشأة هذه الإمارة وحكامها حتى تلك الفترة.

المعروف من دراستنا أن هذه الإمارة قد تأسست عام ٤٩٢هـ/١٠٩٨م على يد بلدوين البولوني الذي أسند إليه فيما بعد حكم مملكة بيت المقدس، لذلك قام بتولية صهره بلدوين دي بورج على الرها(٢٤). وقد قام الأخير بإحكام قبضته على هذه الإمارة بطرق كثيرة، فقد تزوج أميرة أرمنية تدعى مورافيا، وهي ابنة جبريل المليتاني الحاكم الثري السابق، كما قام باستقبال باسيل بطريك الكنيسة الأرمنية بحفاوة بالغة وتكريم شديد في عام ١١٠٣م وقام باختيار أحد أتباعه الكبار هو ابن خالته جوسلين كورتناي ــ الذي وصل في ذلك الحين من فرنسا ــ وسلمه إقطاعية تل باشر التي تقع بين الفرات وحدود انطاكية، وأخيراً وفي عام ٤٩٧هـ/١١٠٣م ساعد بلدوين دي بورج في تدبير الفدية اللازمة لفداء بوهمند حاكم انطاكية(٢٥) الذي تصور أنه من الممكن أن يتعاون معه في عملياته الصليبية ضد المسلمين، بدلاً من تانكرد الذي استحال التعاون معه(٢٦).

وكان من نتيجة هذا التحالف الهجوم الذي قاموا به على رضوان حاكم حلب سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م، وحملتهم على حران سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م والتي تقع على الطريق الموصل إلى بغداد قلب العالم الإسلامي، وكان معنى استيلاء الصليبيين على حران أنهم سيتمكنون من قطع الصلة بين المسلمين في الشرق وفارس وإخوانهم في الشام، فضلاً عن أن سقوط حران كان سيعطي للصليبيين فرصة لمهاجمة الموصل نفسها وتأمين طريق الرها، والسيطرة على إقليم الجزيرة(٢٧).

هزم الصليبيون هزيمة نكراء في هذه المعركة ووقع أمير الرها ومعه جوسلين كورتناي حاكم تل باشر أسيرين في قبضة المسلمين(٢٨).

توالت الأحداث بالنسبة للأمراء الصليبيين خلال عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م أولاً بتعيين تانكرد وصيا على إمارة الرها، وثانياً سفر بوهمند إلى أوربا، ثم وصاية تانكرد الثانية على إمارة انطاكية وبعدها قام تانكرد بمنح إمارة الرها إلى ابن عمه ريتشارد سالرنو الذي كان أقل منه قدرة فلم يحسب حساباً لأطماع أتباعه من الفرنجة، كما أنه فقد ولاء الأرمن، حتى أن سلطة الفرنج أصبحت تعتمد على الحاميات الموجودة بالمدن. لذلك بدأ المسلمون خاصة أمراء الموصل يقومون بحملات متتالية على إمارة الرها(٢٩).

ومن هنا يتضح لنا أن أولى الإمارات الإسلامية التي بدأت تتصدى للإمارات الصليبية، هي إمارة الموصل، فقد قام جكرمش حاكم الموصل بغزو حدود الرها سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م وحذا حذوه قلج أرسلان سلطان قونيه، فقام بحملات مماثلة سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، وسنة ٥٠١هـ/١١٠٧م(٣٠).

لذلك يعتبر حكم ريتشارد سالرنو على إمارة الرها فترة ضعف الإمارات الشمال الصليبية.

وبينما كان رتشارد سالرنو يحكم الرها كان بلدوين دي بورج يقيم أسيراً في الموصل في حين انتقل ابن خالته جوسلين كورتناي بعد وفاة سنغمان إلى ايلغازي الدانشمندي الذي أطلق سراح جوسلين سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م مقابل الحصول على فدية تقدر بحوالي عشرين ألف دينار، ووعد ببذل المساعدة الحربية له(٣١).

سعى جوسلين بعد ذلك إلى إطلاق سراح بلدوين دي بورج الذي حمله جكرمش حاكم الموصل ضمن متاعه وآل بعد ذلك إلى جاولي سقاوة بعد سيطرته على المدينة.

نجح بلدوين بعد جهد شاق في أن يعود إلى إمارة الرها، وقام تانكرد بسحب ابن خالته ريتشارد سالرنو منها(٣٢)، ثم حدثت حرب داخلية بعد ذلك بين جبهتين إحداهما إسلامية تناصرها جبهة صليبية مع أخرى مثلها.

فقد تألف حلفان من جاولي حاكم الموصل مع بلدوين دي بورج حاكم الرها لذلك خاف رضوان أمير حلب هذا التحالف لأن جاولي يهدد ممتلكاته على نهر الفرات ورد رضوان على هذا التهديد والتحالف بمثله، فتحالف مع تانكرد حاكم أنطاكية وقامت الجبهتان بالاستعداد للمواجهة العسكرية(٣٣).

قام رضوان بالاستيلاء على قافلة تجارية، كان من بين ماتحمله جزء من المال الذي افتدى به بلدوين نفسه، وكان مرسلاً من تل باشر إلى مقر جاولي بالموصل. لذلك قام جاولي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م بشن هجوم على مدينة بالس الواقعة على نهر الفرات(٣٤).

انتهت المعركة في البداية بتمكن قوات جاولي وبلدوين من رد فرنج أنطاكية، وتكبيدهم خسائر فادحة، لكن عندما خرج الجند الأتراك من جيش جاولي يبحثون عن الغنيمة، خلت ساحة المعركة إلا من القواد فقط؛ لذلك هرب بلدوين دي بورج، وجوسلين وخسرا المعركة، لكنهما نجحا في العودة إلى الرها(٣٥).

توجه تانكرد بعد ذلك إلى الثغور الشامية فملك طرسوس وأذنه، ونزل على حصن الأكراد، فسلمه أهله إليه، وتوجه إلى شيزر، فقرر عليها عشرة آلاف دينار، وملك الفرنج مدينة بيروت التي كانت ضمن ممتلكات الفاطميين(٣٦)، وقد طلب الصليبيون من إخوانهم النازلين على ثغر بيروت النجدة من عسكر الأمير مودود التي بدأت تتجهز من الموصل للوقوف في وجه الصليبيين في الرها.

مودود وإمارة الرّها :

أمر السلطان محمد السلجوقي مودوداً أتابك الموصل بإعداد العدة لمواجهة إمارة الرها، وقد أبرز لنا المؤرخون المسلمون أن مودوداً كان أبرز من رفع راية الجهاد الديني ضد الصليبيين على أساس الوحدة الإسلامية في مواجهتهم، فقد جهز جيشاً ضخماً للتوجه إلى الرها شاركه فيه مسعود ابن السلطان محمد، كما شاركهما الأمير أيلغازي بن أرتق حاكم ماردين والأمير سكمان القطبي حاكم ميافارقين والمعروف بشاه أرمن(٣٧). ويعلق ابن القلانسي على أعداد الذين شاركوا الأمير مودوداً في جهاد الصليبيين «بأنه قد وصل إليهم خلق كثير من المتطوعة»(٣٨) وقد قرر المجتمعون في جزيرة بني نمير الاتجاه صوب الرها، وذلك لما ذكرناه عنها وعن حكامها وأهميتها، وموقعها بالنسبة للمسلمين وبالنسبة للموصل بوجه خاص.

والعجيب أن التناحر والتباغض الذي لمسناه بين القادة الصليبيين في تلك الفترة ــ وعرضنا له ــ مالبث أن تلاشى عندما شعروا بقوة المسلمين ووحدتهم أمام الرها.

فقد أحكم بلدوين دي بورج أميرها سيطرته على المدينة «وشرع في تحصينها وخزن الميرة والطعام فيها»(٣٩) في الوقت الذي قام مودود وإخوانه المسلمون بحصار المدينة من جميع جهاتها، ومنعوا الداخل والخارج من المسير إليها حتى غلت الأسعار بالمدينة وطالت مدة الحصار. ويعلق الأستاذ **Fink** على ذلك «بأن مودوداً قد قام بتدمير القرى وأتلف المزارع والحدائق والبساتين لذلك قام بلدوين دي بورج بطلب المساعدة من الصليبيين»(٤٠) فاجتمع إليه تانكرد حاكم انطاكية وبرتراند حاكم طرابلس والملك بلدوين حاكم بيت المقدس، وغيرهم(٤١) «وتعاهدوا وتعاقدوا على الثبات في الحرب والمصابرة واللباث»(٤٢) لذلك توجهت قواتهم صوب الرها فلما وصلوا إلى الفرات بلغتهم كثرة المسلمين، فلم يقتربوا منهم وأقاموا على الفرات ــ رغم أن عدد جيشهم كان يزيد على خمسة عشر ألف رجل.

أراد المسلمون استخدام الحيلة وقرر مودود أن يرحل إلى حران ــ التي سبق أن استولى عليها ــ على أساس أن يسهل للفرنج عبور الفرات، ويتمكن من لقائهم في المنطقة الفضاء

شرقي الفرات لذلك توقفوا عن مقاتلة الصليبيين حتى يعبروا، لكن الصليبيين أدركوا هذه الخطة وشعروا بما يدبر لهم، وأن الهلاك والخذلان نصيبهم؛ فقد تلقى بلدوين التحذير في الوقت المناسب وعرف أن خطة مودود هي اجتذابهم إلى أرض معادية كيما يطوق جناحهم، لذلك توقف عن حصار قلعة شناو التي تقع شمال غرب حران(٤٣).

لحق مودود بمجموعة من الصليبيين ومعهم جمع من الأرمن الذين بدأوا في مغادرة البلاد بناء على خطة بلدوين دي بورج ـ التي تقضي بالاتجاه إلى البلاد الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات، والتي تعتبر أكثر أمناً واستقراراً، وتتبعهم المسلمون فغنموا منهم «سوادهم وأثقالهم» وتتبعوا رجالهم قتلاً وأسراً، وأغرقوهم في نهر الفرات وامتلأت أيدي المسلمين بالغنائم والأسلاب والسبي والدواب وترك المسلمون فلول الصليبيين ورفضوا اللحاق بهم وعبور الفرات لرغبتهم في العودة إلى الرها مرة أخرى(٤٤).

ظهرت نواة قوة إسلامية جديدة تمثلت في الأتابك طغتكين أتابك دمشق، الذي سمع بما حدث للقوات الإسلامية في الرها، لذلك تحرك طغتكين بقواته «إلى ناحية الرقة وقلعة جعبر وقطع الفرات»، وتلوم هناك إلى أن عرف خبر الإفرنج، وأنهم قد أحجموا عن العبور»(٤٥) وانضم إلى بقية جيش مودود. ولعل استياء طغتكين يرجع أولاً إلى استيلاء الصليبيين على ميناء بيروت في ١٣ مايو سنة ١١٠٩م، وميناء طرابلس قبل ذلك، وكان هذان الميناءان أهم مرفأين لدمشق على البحر المتوسط(٤٦).

بلغ الحقد أشده ببلدوين دي بورج على مودود، لذلك قرر الانتقام، فقاد كتيبة من العسكر واجتاز بها النهر غير أن تفوق مودود في العدد والعدة، جعل اليأس يدب في نفوس الصليبيين، حتى أن بلدوين دي بورج كاد يتعرض للهلاك على يد مودود شخصياً لولا نجدة الملك بلدوين وتانكرد.

عاد بلدوين أولاً إلى سميساط، ومنها اتجه جنوباً، بينما اتجه تانكرد ناحية بلاد الشام لإنزال العقوبة برضوان حاكم حلب الذي هاجم بلاد تانكرد أثناء غيابه، وقد اعتقد تانكرد أن هذا

العمل خيانة وخروجاً على الاتفاق المعقود بينهما من قبل، فاستولى تانكرد عنوة على قلعة النقره الواقعة على الحدود ثم زحف على حصن الأثارب وهو بالقرب من مدينة حلب وحاصره، «ومنع الميره عنه فضاق الأمر على من به من المسلمين فنقبوا في القلعة نقباً، قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه»(٤٧)، لكنه نجح في التحايل على المسلمين حتى امتلك تانكرد الحصن عنوة، وقتل أهله، ثم توجه إلى زردنا فحصره، وفتحه وفعل به مثلما فعل في حصن الأثارب فلما سمع أهل منبج بذلك خافوا من الفرنج وشاركهم أهل بالس. لذلك توجه الفرنج نحو صيدا فطلب أهلها الأمان فأمنوهم واستولوا عليها، وطلب المسلمون الهدنة فرفض الصليبيون «إلا على قطيعة يأخذونها إلى مدة يسيرة»(٤٨)، لذلك صالحهم رضوان وصاحب صور وابن منقذ وغيرهم بعد أن تعهدوا بدفع أموال طائلة للصليبيين.

كان لهذا الموقف الصليبي رد فعل عنيف في العالم الإسلامي، فقد أثار الاستياء العام لدى جميع المسلمين مما أدى إلى «تجمهر أعداد كبيرة منهم يرؤسهم رجل من الأشراف الهاشميين من أهل حلب، وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء توجهوا إلى جامع السلطان ببغداد فاستغاثوا، وأنزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وصاحوا وبكوا لما لحق الإسلام من الفرنج وقتل الرجال وسبى النساء والأطفال»(٤٩) وقد عاود المسلمون فعل ذلك في الجمعة التالية لذلك أوعز السلطان محمد السلجوقي إلى الأمراء والمقدمين بالعودة إلى أعمالهم والتأهب للمسير إلى جهاد أعداء الله الكفار»(٥٠).

وصل في نفس الفترة رسول من قبل الامبراطور البيزنطي لاستثارة الخليفة والسلطان ضد الصليبيين «مضمونها البعث على جهاد الافرنج والإيقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الأعمال وترك التراخي في أمرهم واستعمال الجد والاجتهاد في الفتك بهم قبل اعضال خطبهم واستفحال شرهم»(٥١).

وبين لهم كذلك بأنه منع الصليبيين من العبور إلى البلاد الإسلامية؛ لذلك أمر السلطان السلجوقي قواته بالتحرك صوب الصليبيين.

كان مودود أول من استجاب لنداء سيده واستعد وجهز قواته لتحقيق هدفين: أولاً ليستكمل الدور الذي بدأه ناحية الرها، وثانياً الانتقام من الصليبيين الذين أساءوا لأهل الشام.

كانت هذه الحملة تحت قيادته وساعده مسعود ابن السلطان محمد السلجوقي والأمير سكمان القطبي والأميران الكرديان أحمد يل صاحب مراغه وأبو الهيجاء صاحب إربل، فضلاً عن بعض أمراء فارس بزعامة برسق بن برسق أمير همدان(٥٢). والأمير أيلغازي صاحب ماردين والأمراء البيكجيه ـ وقد تخلف بعد ذلك أيلغازي وبعث بابنه إياز»(٥٣).

توجه مودود بعسكره أولاً إلى سنجتان، فافتتح تل مراد وعدة حصون، وهناك وصل إليه أحمد يل وعساكره، ثم قطب الدين سكمان القطبي، وكان تجمعهم في حران، وكتب إليهم سلطان بن علي بن منقذ صاحب شيزر يخبرهم بنزول تانكرد صاحب انطاكية أرض شيزر وشروعه في بناء تل ابن معشر في مقابلة شيزر وحمل الغلال إليه وطلب منهم مساعدته(٥٤).

وعندما أحس بلدوين دي بورج أمير الرها بتلك التجمعات الإسلامية على حدود امارته، خاف أن يتعرض مرة أخرى لهجوم مودود، فشرع في تحصين إمارته وخزن الميرة والطعام فيها مما جعل مودوداً ينصرف عن حصارها ويتجه إلى ثاني مدن تلك الإمارة الصليبية وهي مدينة تل باشر غربي الفرات ومفتاح مدينة الرها. انتظر مودود وهو محاصر لتل باشر وصول الأمير برسق ابن برسق، فوصل في عسكره وهو مريض بالنقرس، وكان سكمان القطبي مريضاً أيضاً وقد ظل مودود والقوات الإسلامية محاصرين لتل باشر مدة خمسة وأربعين يوماً، وهناك وصلتهم رسالة من رضوان بأنه يستعد لمساعدتهم؛ لأنه لم يعد بوسعه أن يصمد طويلاً أمام تانكرد، وقد تأثر مودود لتغير سلوك رضوان وأنه سيشارك الجمع الإسلامي، وبناء على اقتراح أحمد يل الذي كان بينه وبين جوسلين حاكم تل باشر مودة وملاطفة حيث «قدم له جوسلين مالاً وهدية، وبذل الكون معه والميل إليه، وكان أكثر العساكر مع أحمد يل وسأله الرحيل عن الحصن»(٥٥).

طلب أحمد يل من مودود الرحيل، فوثق به مودود وظنه صادقاً في غرضه ورفع الحصار عن تل باشر وتوجه صوب حلب، وخاب أمل مودود في رضوان أمير حلب. فما إن وصلت القوات الإسلامية إلى حدود حلب حتى أغلق رضوان في وجهها أبواب المدينة «وأخذ أهله رهائن إلى القلعة، ورتب الجند وأحداث الباطنية والطائعين لحفظ الأسوار ومنع الحلبيين من الصعود إلى السور، فأطلق الحرامية في أخذ من يظفرون به من أطراف العسكر»(٥٦) معنى ذلك أن عساكر رضوان كانوا أخطر على مودود من الصليبيين.

أما عن موقف القواد المسلمين الملازمين لمودود فقد مرض سكمان القطبي، وعاد مريضاً وتوفي في بالس، أما برسق بن برسق فكان يُحمل في محفة، ولايتمكن من فعل أو قول، وأما أحمد يل فكان يرغب في العودة لطمعه في الاستيلاء على بلاد سكمان القطبي(٥٧).

مودود وطغتكين:

لعل إفرادنا عنواناً لطبيعة العلاقة بين مودود وطغتكين لدليل على أهميتها عن غيرها.

فالمعروف تاريخياً أن طغتكين كان أتابكا على دمشق لأولاد دقاق، وقد ظل بيته يتوارث هذه الأتابكية طوال فترة الحروب الصليبية إلى أن نجح نور الدين محمود في الاستيلاء على دمشق.

وقد بدأ اتصال طغتكين بمودود عندما كان الأخير محاصراً للرها سنة ٥٠٣هـ. وأكد ابن القلانسي على أنه قد وصل الرقة وقلعة جعبر وعبر الفرات، وبعدها بدأت الصلات تتوثق بين الإثنين، وكثرت المراسلات إلى أن أفضت إلى استحكام المودة بينهما، واتفاق الكلمة وتأكيد أسباب الألفة»(٥٨).

ويؤكد المؤرخون الغربيون على أهمية اتصال طغتكين بمودود واتحادهما معاً، فقد كان نجاح الحملة الصليبية الأولى يرجع إلى الفرقة بين الأمراء الترك حكام الأقاليم أما الاتحاد بين دمشق والموصل فسيؤدي إلى ضعف جبهة الصليبيين(٥٩). وعندما خرج مودود بحملته على تل باشر

ومنها إلى حلب حضر طغتكين على رأس قوة عسكرية من بلاد الشام «للاعتضاد على الجهاد وتقوية النفوس»(٦٠) فوصل إلى حلب، وهناك استقبله المسلمون خاصة مودود بالمودة والترحاب «وقويت بوصوله النفوس، واشتدت الظهور» وفي هذه الفترة علم طغتكين أن رضوان صاحب حلب بدأ يدس الدسائس، ويوغر الصدور ليوقع بين طغتكين ومودود والقوات الإسلامية، حتى أنه راسل بعض الأمراء في هذا الشأن، لذلك قرر طغتكين الاتفاق مع مودود «على التعاهد والتصادق فيما بينهما، وتقوية النفوس من أجل مجاهدة الصليبيين، حتى أنه بدأ يوزع كل مايحمله من هدايا على الجنود المسلمين منها التُحف والحُصن العربية والسُبق والأعلاق المصرية(٦١) «ولم ينكر مودود عليه أعماله هذه، بل قابلها بالمثل وتجددت العهود بينهما»(٦٢).

وقد طلب منهم طغتكين أن يتوجهوا معه صوب طرابلس، لأنه يمر في دمشق بظروف سيئة بعد استيلاء الصليبيين على ميناء طرابلس سنة ١١٠٩م، لذلك اقترح أن تبدأ الحرب المقدسة بطرابلس. لكن للأسف فإن القادة الذين كانوا يرافقون مودوداً لم يرغبوا في القتال من أجل مصلحة طغتكين ولا أن يمكثوا بعيداً عن أوطانهم أكثر من ذلك، لذلك تركوهم جميعاً كما ذكرنا(٦٣).

قرر طغتكين لمودود في حالة مساعدته منحهم كل مايحتاجونه من مؤن من دمشق وفي حالة حلول فصل الشتاء سيرحل بهم إلى دمشق، وللأسف الشديد فإننا قد رأينا اختلاف الرأي بين القواد المسلمين الذين كانوا في جيش مودود وكيف أنه فوجىء بأن كل واحد من هؤلاء القواد قد اتخذ موقفاً معيناً، كما سبق أن ذكرنا، فلم يكن أمام مودود إلا أن ينفذ رغبة طغتكين بنفسه دون الاعتماد على غيره، وأن يرحل معه هو وجنوده متجهين إلى نهر العاصي(٦٤).

وصل إلى هذه الجموع سلطان بن منقذ أمير شيرز ومعه جنوده، وأوضح لهم موقف الصليبيين، لكنه هون عليهم أمرهم وشجعهم على مواصلة الجهاد على أن تنضم إليهم جنود شيرز. لذلك بدأ يظهر الدور الإيجابي لطغتكين مع مودود، وتوطدت صلاتهما، مما جعل

المؤرخين يحللون هذا الموقف، وهل كانت هذه العلاقات من قبل طغتكين أم أنه شعر بقوة مودود، فخاف نفوذه، وأراد أن يستقطبه إلى جانبه، لكن العبرة ستتضح في النهاية، والحقيقة الكامنة في نفس طغتكين يعلمها الله وحده، رغم دفاع بعض المؤرخين عنه.

مودود وقوى الصليبيين ببلاد الشام :

رأينا خيبة أمل مودود في رضوان أمير حلب، وتحالف طغتكين وسلطان شيزر معه، لذلك نفذ خطتهم في الاتجاه صوب شيزر جنوباً فدخل عسكر مودود حول شيزر وأكرمهما سلطان بني منقذ واحتفى بقادة الحملة وهما مودود وطغتكين «بأن أصعدهما إلى حصن المدينة وباشر خدمتهما بنفسه»(٦٥).

وفي هذه الآونة كان الصليبيون بزعامة تانكرد يعسكرون أمام شيزر وعندما علموا بوصول قوات مودود انسحبوا إلى أفاميه واستنجدوا بالملك بلدوين ملك بيت المقدس، فاستجاب لهم، وأرسل إلى سائر الفرسان بالشرق ليلحقوا به، فتقدم معه البطريرك جبلين وكبار الأتباع بالمملكة أمثال جارنييه سيد صيدا ووالتر صاحب حبرون، وبرتراند كونت طرابلس، ومن الشمال جاء بلدوين كونت الرها يصحبه تابعاه الكبيران جوسلين سيد تل باشر، وباجان صاحب سروج، واستدعى تانكرد أتباعه من سائر جهات أنطاكية فقدم إليه جاي الملقب بالمعزة من طرسوس والمصيصة، وريتشارد صاحب مرعش وجاوي المعروف بالزانة سيد حارم، وروبرت صاحب السويدية وروجر صاحب هب ومارتن صاحب اللاذقية، وبونا بلوس صاحب سرمدا وآل روبين فصيله أرمنيه، بل إن أوشين صاحب لامبرون بعث بجماعة من جنده، والراجح أن عملهم اقتصر على التجسس لحساب الامبراطور(٦٦).

وتقدر جميع هذه القوات بما يقرب من ستة عشر ألف مقاتل»(٦٧) ويعلق ابن القلانسي على هذا الجمع الهائل من الصليبيين الذين برزوا أمام مودود وقواته الإسلامية أنهم قد استفادوا من حروبهم ضد المسلمين «فبعد التباين والمنافرة والخلف صاروا يداً واحدة وكلمة متفقة على الاسلام وأهله»(٦٨) ومن هنا نرى كيف أن ابن القلانسي قد أوضح لنا أن المسلمين خرجوا

متناحرين، وكل قائد منهم اعتذر بحجة معينة وتركوا الأمر لمودود ليحمل على عاتقه هذه المهمة الصعبة، في حين أن المحنة صلبت عود الصليبيين، فاجتمعوا علينا وتكاتفوا بعد أن كانوا متباغضين متناحرين.

اتجه الصليبيون إلى منطقة تسمى تل ابن معشر، وبدءوا في تجهيز قواتهم، وتحصين مواقعهم، لكن المسلمين كانوا قد نجحوا في تثبيت خيولهم من جميع الجهات، لكي تكون في مواجهة الصليبيين، وعسكروا عند معرة النعمان، وكان موقعهم يمنع وصول الماء والمؤن إلى الصليبيين، كما سيطر المسلمون أيضاً على شاطىء نهر العاصي، ومنعوا أي جندي صليبي من الاقتراب منه وكل من حاول ذلك تعرض للقتل، وهاجم المسلمون التل الذي يعسكر عليه الصليبيون، فارتد الصليبيون، واختبأوا ثلاث ليال لم يخرجوا خلالها للقاء المسلمين، ثم عادوا إلى أفاميه مرة أخرى، وتتبعهم المسلمون الذين حملوا أعداداً كبيرة من الأسرى الصليبيين الذين كانوا يتخطفونهم، ثم عادوا إلى شيزر ومنها إلى حماة(٦٩).

توطدت العلاقات عقب هذه الحملة بين مودود وطغتكين، فمن المؤرخين من يحاول إبعاد الحقد الداخلي والخوف من نفس طغتكين. ويمثل هؤلاء ابن القلانسي، أما ابن الأثير فله موقف آخر مخالف لموقف زملائه المؤرخين(٧٠).

غادر مودود بلاد الشام إلى الموصل ليستعد لهجوم جديد يوجهه صوب مدينة الرها التي تعتبر الهدف الأساسي لحكام الموصل، فجهز نفسه وتوجه في عام ٥٠٦هـ/١١١٢م إلى الرها «فنزل عليها ورعى عسكره زروعها، ومكث بها ثمانية أيام»(٧١) ثم رحل عنها إلى سروج وفعل بها كذلك، ويبين ابن الأثير أن مودوداً لم يأخذ حذره من الفرنج، وفجأة انقض عليهم جوسلين صاحب تل باشر، وهجم على الدواب التي كانت منتشرة في المراعي، وعندما تجهز مودود للثأر منه كان قد رحل إلى بلاده بعد أن قتل كثيراً من المسلمين واستولى على الدواب(٧٢).

لذلك نعتبر أن حملة الرها لم تكن ذات أهمية بل إن مودوداً بعدها اكتفى مؤقتاً بمراقبة حدود الجزيرة، ومسالك الشام تحقيقاً لرغبة الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي(٧٣).

ويعلق الأستاذ **Fink** على حصار مودود للرها بقوله «إذا كان مودود قد نجح في الاستيلاء على الرها لكان قد سبق عماد الدين زنكى الذي استولى عليها سنة ١١٤٤م وكان استيلاؤه عليها نقطة تحول في تاريخ الحروب الصليبية»(٧٤).

وخلال هذه الفترة تعرضت مدينة صور في بلاد الشام لعدوان الملك بلدوين الصليبي ملك بيت المقدس الذي بدأ يجمع الصليبيين حول رايته بعدما رآه من الهجوم الإسلامي المتكرر على بلاد الشام، وبعد حملة مودود على شيزر، وقد جمع بلدوين ملك بيت المقدس جنوده وحشدها نحو مدينة صور، لذلك استنجد أهلها بطغتكين حاكم دمشق والتمسوا منه الحماية، فقام طغتكين بالاتصال بالأفضل بن بدر الجمالي الوزير الفاطمي في مصر، وبين له «أن من يتولى أمرها ويذب عنها ويحميها، بادرت بتسليمها إليه، وخروج نوابي منها»(٧٥).

وعندما تقاعس الفاطميون عن إرسال النجدة إلى مدينة صور، التي تعتبر رسمياً ضمن ممتلكاتهم في بلاد الشام، كما أنها من المدن التي استعصت على بلدوين الأول، لذلك قرر طغتكين تعيين وال عليها يدعى مسعود، «فرق عليهم المؤن والأموال، فطابت نفوس أهل البلد»(٧٦) وقد قام بلدوين بعد ذلك وفي عام ٥٠٥هـ/١١١١م بحصار لصور، لكنه كان حصاراً غير تام لعدم وجود أسطول صليبي قوي يحبس المدينة من ناحية البحر(٧٧).

وقد هزم بلدوين أمام المقاومة الإسلامية التي برزت في صور وبعدها تسلم طغتكين المدينة رسمياً. لذلك احتدم الصراع رسمياً بين طغتكين وبلدوين الأول، مما دفع طغتكين إلى مراسلة مودود، وطلب منه القدوم لنجدته «للاعتضاد به على دفع المرَدَة الأضداد، والفوز بفضيلة الجهاد»(٧٨).

والسبب الثاني لهذه الحملة هو الاعتداءات المتكررة التي كان يقوم بها بلدوين على مدينة دمشق، «حتى ندرت الأقوات بها وتعذرت»(٧٩).

والحقيقة، كما هو ثابت أن مودوداً لم يكن في حاجة إلى تحريض، بل إنه كان يمثل أولاً

سلطة السلطان السلجوقي، في كل أمور الشام والجزيرة، لذلك كان عليه أن يمضي في جهاد الفرنج(٨٠).

وثانياً، فإن استمرار قدومه إلى بلاد الشام لمحاربة الصليبيين، وان لم تؤد إلى نتيجة ما، فهو يعتبر نقطة تحول في تاريخ حركة الإفاقة الإسلامية لما ترتب عليه من تطلع مودود إلى مهاجمة الصليبيين بالشام ذاتها، وإلى تفكيره في القطع بينها وبين الرها، وبذا انتقل مسرح النضال إلى أرض الشام(٨١).

ورغم ذلك، فقد تعرض مودود شخصياً في هذه الفترة الحاسمة التي كان يمر بها العالم الإسلامي لوشايات وأباطيل نقلت عنه، وكلها مصدرها الحقد والغيرة والخوف من زعامة العالم الإسلامي **«فقد شُنع عليه عند السلطان غياث الدنيا والدين بشناعات من المحال، لفَّقها الحسدة والاعداء»**(٨٢).

لذلك اضطر «أن يبعث إبنه وزوجته إلى السلطان محمد السلجوقي للاعتذار وإثبات صدق نيتهم وعزمهم على مواصلة الجهاد».

وقد قام مودود بإعداد جيش ضخم خرج به إلى بلاد الشام في شهر ذي القعدة، لذلك انزعج بلدوين انزعاجاً شديداً لقدوم هذا الجيش(٨٣).

والواقع أن موقف الصليبيين في هذه الآونة كان يشهد تغييرات جديدة بشمال بلاد الشام، وأعالي الجزيرة، إذ مات ريتشارد النورماندي وبرتراند أمير طرابلس فتوثقت العلاقة بين بونز ابن برتراند وتانكرد، غير أن تانكرد مالبث أن مات سنة ١١١٢م فتولى الوصاية على انطاكية روجر بن ريتشارد حتى يقدم بوهمند الثاني وانتزع بلدوين دي بورج اقطاع تل باشر من جوسلين، فارتحل إلى بيت المقدس سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م، وحاز الجليل «طبرية» اقطاعاً له(٨٤).

وتذكر المراجع أن أخبار تحركات مودود من الموصل إلى الشام وصلت إلى بلدوين دي بورج

كونت الرها، فبادر بإبلاغها إلى بلدوين ملك بيت المقدس، لذلك قام باستدعاء أميري انطاكية وطرابلس.

خرج طغتكين من دمشق للقاء مودود وجيشه، وتم اللقاء عند مرج سلميه جنوبي شرق حماه، واتفق الإثنان على ملاقاة جيش بلدوين، وصحبتهم في هذه الحملة جيوش من حمص وحماه، ورفنيه ثم توجها إلى قدس ومنها إلى عير الحبر بسهل البقاع ثم إلى وادي التيم ونزلا بانياس(٨٥).

ويحاول ابن القلانسي أن يركز على حسن معاملة طغتكين لمودود وتكريمه وإعظامه «وماحمله إلى مقدمي عسكره وخواصه من أنواع الملبوس والمأكول والمركوب»(٨٦).

موقعة الصنبرة سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م :

انضمت إلى قوات مودود وطغتكين قوات تمرك صاحب سنجار، والأمير أياز بن أيلغازي الأرتقي، وقد اتجه الجميع صوب طبرية، وقاموا بحصارها، وعندما استعصت عليهم أخذوا يدمرون وينهبون الممتلكات الصليبية المجاورة حتى جبل الطور(٨٧).

اتجهت القوات الإسلامية بعد ذلك إلى الاقحوانة في حين قرر الصليبيون بزعامة بلدوين أن ينزلوا غربي جسر الصنبرة وهي قرية قديمة تقع على المجرى الأعلى لنهر الأردن ثم يقطعونه إلى الاقحوانة للقاء المسلمين، وقد شدد الحراسة على أمتعتهم وأسلحتهم خلف الجسر(٨٨).

نجح المسلمون في قطع جسر الصنبرة، ووقفوا أمام الفرنج في ثلاث جولات حربية انتصروا فيها وقتل من الإفرنج «تقدير ألفي رجل من الأعيان ووجوه الأبطال والشجعان، وملكوا ماكان نُصِب من خيامهم»(٨٩). ويعدد فولشر قديس شارتر عدد القتلى بثلاثين ألف فارس، واثني عشر ألفا من المشاة(٩٠). وقد تم أسر بلدوين «وفر هارباً، وحصل معسكر مودود على غنائم وفيرة»(٩١) وقد غرقت أعداد كبيرة من جيش بلدوين في البحيرة، واختلط الدم والماء حتى أن الناس امتنعوا عن الشرب منه، وهرب من نجا من الصليبيين إلى طبرية.

عندئذ وصلت بقية الجيوش الصليبية إلى بلدوين، وقد لاموه على تسرعه في لقاء المسلمين، أما المسلمون فقد استأنفوا جهودهم فاتجهوا ناحية طبرية وقرروا مهاجمة الصليبيين مرة أخرى فصعدوا الجبل المطل عليهم غربي طبرية، وبعد أن عاد المسلمون إلى معسكرهم، صعد الصليبيون الجبل، وتحصنوا به، ومع ذلك استمر المسلمون في مجابهتهم وقرروا في النهاية عدم الصعود إلى الصليبيين لصعوبة الجبل(٩٢). وقاسى الصليبيون من ندرة الماء، واستمروا فوق التل لمدة ستة وعشرين يوماً، وخلال هذه الفترة وصلت قوات من قبل رضوان أمير حلب تقدر بحوالي مائة فارس، وهو أقل من العدد المتفق عليه، لذلك توترت العلاقات بينه وبين طغتكين ومودود اللذين قررا عدم إقامة الخطبة له.

ظلت العساكر الإسلامية تطارد القوات الصليبية، بعد أن أدركوا عجز ملك بيت المقدس عن الدفاع عن إمارته، فاستمروا في إغارتهم على المناطق بين عكا وبيت المقدس، فأضحى الإقليم تحت رحمتهم، فهرب سكان المدن والقرى والفلاحون ولحقوا بالقوات الإسلامية، وأصاب الفرنج من الذلة والانكسار والخوف، ماجعلهم لايجرؤون على مغادرة الاستحكامات والحصون(٩٣) ويعلق فولشر قديس شارتر على ذلك بقوله «إن العرب اتجهوا جماعات، والتفوا حول إخوانهم في الدين وأن الصليبيين لم يجرؤوا على مغادرة أسوار مدنهم، فلم يتمكنوا من الاتصال بالملك بلدوين، كما لم يتمكنوا من حصد المحاصيل التي جادت بها الأراضى في ذلك العام(٩٤). ثم كان أن زاد موقف الصليبيين حرجاً في ذلك الوقت عندما قامت حامية عسقلان بهجوم على بيت المقدس ذاته، مستغلة فرصة وجود الملك بلدوين الأول والجيش الصليبي قرب طبرية، وهكذا تقدم الجيش الفاطمي من عسقلان يدمر وينهب، ويقتفي أثر الصليبيين حتى وصل إلى أسوار بيت المقدس، لكن حامية المدينة ومن بقي فيها من الفرسان ظلت متيقظة تماماً في الوقت الذي كان الجيش الفاطمي الذي خرج من عسقلان صغير العدد لا يستطيع القيام بعمل حربي ضخم ضد المدينة، مما جعل المسلمين يشرعون في العودة إلى عسقلان في الليلة نفسها التي بلغوا فيها أسوار بيت المقدس(٩٥).

وقد تبدلت الظروف بالنسبة لبلدوين حيث وفدت عليه جموع من انطاكية وطرابلس

لمواساته في مأساته، كما شاركهم مجموعة من الحجاج الغربيين القادمين من أوربا، وقد تجمعوا في مجموعات كبير واتجهوا إليه(٩٦) على أن مودوداً أذن للعساكر في العودة إلى بلادهم والاستراحة على أن يتجمعوا في الربيع القادم لمواصلة الغزو، وذلك بعد أن ألح عليه عساكر العراق، وحلفاؤه، وعزم مودود على المقام بالشام والقرب من العدو(٩٧) لذلك عاد طغتكين ومودود إلى دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧هـ، وقد بالغ طغتكين في إكرامه واحترامه وخدمته بنفسه(٩٨).

ويعقد الأستاذ «فنك» **Fink** مقارنة بين حملة سنة ١١١٣م/٥٠٧هـ، التي قام بها مودود وبين موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م التي قام بها صلاح الدين الأيوبي، فبين أن هاتين المعركتين متشابهتان في أكثر من شيء، أولها أن الوحدة الإسلامية في كلتاهما كانت سبباً في قهر المسيحيين، وفي كلتاهما بدأ المسلمون بمهاجمة طبرية كما أدى هذا الهجوم إلى تجنيد عام في كل العالم الإسلامي وانتهى بانتصار المسلمين على الفرنج وألقوا بهم على تل قليل الماء(٩٩).

أما عن وجه الاختلاف بين الاثنتين، فإن جيش بلدوين انهزم في حملة مودود وهرب بلدوين أما جيش جاي لوزجنان في حطين فانهزم وتم أسر الملك نفسه.

ثانياً: أن الملك بلدوين في الأولى كان يعاني وهو على التل المرتفع من نقص المياه وقلتها في حين أن جاي لوزجنان في الثانية لم يجد الماء نهائياً.

ثالثاً: أن بلدوين كان يحظى باحترام رفاقه رغم الأخطاء التي وقع فيها، في حين أن جاي صدر ضده قرار من المجلس الصليبي العام يقضي بعزله، وأخيراً فإن بلدوين وصلته إمدادات ومساعدات خارجية، في حين أن جاي لوزجنان تم أسره مباشرة وقبل وصول الإمدادات إليه(١٠٠) والواقع أن مودود بعد عودته إلى دمشق شعر بأنه قد قام بتأسيس وبناء الأسس واللبنات لحركة الجهاد الإسلامي، فقد نجح في أن يكوِّن تحالفاً بين الأتراك في العراق، وبين إخوانهم في دمشق التي تعتبر أقوى قطر إسلامي في بلاد الشام(١٠١).

مقتل مودود :

تعرض مودود المجاهد المسلم بعد هذا الجهد الجهيد لطعنات غادرة قام بها أحد رجال الشيعة الباطنية فأثناء توجهه برفقة طغتكين من مخيمه بمرج باب الحديد إلى الجامع، وبعد الصلاة خرج هذا الباطني وطعنه طعنات قاتلة تعرض بعدها الباطني لضربات الحراس المحيطين بهم فمزقوه إرباً ثم حرقوه فلم يعرفه أحد في الوقت الذي أصبح مودود يترنح من الألم(١٠٢).

ويذكر ابن الأثير أن مودوداً كان صائماً، فطلب منه طغتكين أن يفطر فرفض وقال «لا لقيت الله إلا صائماً ومات يومه»(١٠٣) ولعل مقتل مودود أثار وجهات نظر متعددة بين المؤرخين والغريب أن معظم الآراء اتهمت طغتكين بتدبير قتله ومن المؤرخين المسلمين يَبْرُز ابن الأثير، الذي يتهم طغتكين في تدبير مقتل مودود «لأنه خافه فوضع عليه من قتله»(١٠٤).

ولعل ماقام به طغتكين من قطع رقبة القاتل وإحراق جثته ما يدلل به على رغبته في طمس معالم الجريمة والتخلص ممن قام بها، حتى أنه تحالف فيما بعد مع الصليبيين.

أما المؤرخون المسلمون الذين أبعدوا التهمة عن طغتكين، فعلى رأسهم ابن القلانسي وهو صديق طغتكين ومعاصره فذكر أنه «قلق لوفاته، وتزايد حزنه، وأسفه وانزعاجه»(١٠٥) وشاركه في ذلك سِبط بن الجوزى الذي ذكر أن طغتكين قد صدم على قتل مودود وحزن حزناً شديداً. وشاركه في هذا الرأي أبو المحاسن ابن تغرى بردى(١٠٦).

أما المؤرخون الغربيون أمثال البرت آخن ومتى الرهاوى، فقد اتهما طغتكين بقتل مودود، أما فوشر قديس شارتر فقد أبعد عنه التهمة(١٠٧) والحقيقة أننا لانستطيع أن نتهم أو نبرىء طغتكين، فالحقيقة يعلمها الله وحده، ولكن هناك حدثاً سياسياً وهو أن طغتكين استقل بدمشق عن السلطنة السلجوقية حتى وفاته سنة ١١٢٨م وكما ذكرنا فإن اتصاله بالصليبيين ــ فيما بعد ــ أدى إلى ترسيخ الشكوك فيه.

تقييم عام لمودود بن التونتكين :

وبعد أن استعرضنا هذا الدور الإيجابي لمودود حاكم الموصل الذي قاد حركة الجهاد الإسلامي، وأبرز أهمية الموصل بالنسبة لإمارات الشمال وأنه أول من بدأ توحيد الجبهة الإسلامية في الحروب التي دارت بين إمارات العراق والشام وبين الصليبيين، فقد أثبت أهمية هذه الوحدة في مجابهة الصليبيين، والتي بدونها لم ولن تقوم للمسلمين قائمة. ويعتبر مودود هو الذي أضاء الطريق الذي لم يغلق، فقد أشرت أن عماد الدين زنكى، وهو الشاب الذي تربى في هذه الإمارة وخاض مع مودود معاركه في بلاد الشام، لمع فيما بعد، وحمل نفس المشعل الذي أضاء به مودود طريق حركة الجهاد. وقد توطدت العلاقات بين مودود وزنكى وأحبه حتى أنه أطلق اسمه على ابنه قطب الدين مودود الذي تولى الموصل سنة ١١٤٩/ ١١٧٠م.

وقد نجح عماد الدين زنكى كما نعلم في توحيد الموصل، وحلب وهي الخطة التي كان يعمل من أجلها مودود، كما نجح في استرداد الرها سنة ١١٤٤م وهو الأمل الذي بذل من أجله النفس والمال وكاد يحققه، واكمل هذه المسيرة نورالدين محمود بن زنكى الذي ضم دمشق إلى الوحدة الإسلامية، حتى كان صلاح الدين الأيوبي الذي تحققت على يديه الوحدة الإسلامية الكاملة بدخول مصر فيها حتى سقوط بيت المقدس، وعودتها إلى أحضان الإسلام.

أما عن آراء المؤرخين الغربيين فمنهم فولشر قديس شارتر الذي يصفه بأنه «كان قوياً وعظيماً حقاً وقائداً بارزاً من القواد الأتراك يتمتع بذكاء حاد ومكر كبير»(١٠٨)، أما ألبرت آخن فيذكر «أن اسم مودود وشهرته قد تعدت وفاقت جميع القادة الأتراك لأنه حارب الصليبيين أكثر من غيرهم»(١٠٩) حتى أن متى الرهاوى الذي هاجم مودود بلاده والذي كان يعرفه أكثر من غيره حتى أنه لقبه بلقب «مصاص الدماء» قد وصفه بأنه كان محارباً مغواراً(١١٠).

أما آراء المؤرخين المسلمين في مودود فيذكر عنه ابن الأثير، أنه كان خيراً عادلاً كثير الخير»(١١١) أما ابن القلانسي فيقول «انه لزم التدين والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشاعت بالجميل أخباره وبحسن الارتضاء آثاره(١١٢).

ويذكر د/ العريني «أن الفرنج فرحوا لما حدث من مصرع مودود لاختفاء عدو اعتبروه من أشد الخصوم كفاية وقدرة وصلابة»(١١٣).

أما د/ حبشي فيذكر أن مقدم مودود إلى حلب يعتبر نقطة انتقال هامة في تاريخ حركة **الإفاقة الإسلامية**، اذ يبدو أنه أدى إلى تطلع مودود لمهاجمة الصليبيين بالشام ذاتها وإلى تفكيره بالقطع بينها وبين الرها، ومن ثم أخذ مودود في التقرب إلى بعض الأمراء الشاميين(١١٤).

ويذكر د/ حسين مؤنس «أن أعظم نتائج جهاد مودود أنه أعاد إلى المسلمين الثقة بأنفسهم، فانقلبوا من الدفاع إلى الهجوم، واستخفوا بالصليبيين وأخذ المسلمون في الاتحاد، فأصبح الأمراء منهم أميل إلى الاتحاد ومحالفة بعضهم بعضاً، وتبينوا فضائل الاتحاد، ولم تعد جماعة منهم لتخرج إلى القتال إلا متحدة مع جماعة أخرى فكتب الله لهم الانتصار.

إن ميلاد حركة التوحيد في الموصل جعلت امارة بيت المقدس تهتم بالدفاع عن نفسها، فلم يعد بلدوين يهاجم مابقى للفاطميين من سواحل الشام، فاستفاد الفاطميون، وهددوا بيت المقدس سنة ١١١٥م، فبذل بلدوين جهداً في دفع هذه الغارة، وأن مودوداً من غير شك هو من الطبقة الأولى مثل نور الدين وصلاح الدين يستحق أن يكون من الظاهرين من أبطال الإسلام(١١٥).

وإذا كانت هذه هي الأحكام التي أصدرها المؤرخون على مودود، لذلك فلا أقل أن يحظى باهتمامنا واهتمام من بعدنا.

جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء ،،،

● ● ●

الهوامش:

(١) انظر د/ عفاف صبره ـ «دراسات في تاريخ الحروب الصليبية» ومن أهم الموضوعات «دور الفقهاء وعلماء المسلمين في جهاد الصليبيين» «التركمان وجهاد الصليبيين».

(٢) عن الموضوع انظر
«Fink» Mawdud I of Mosul, Precursor of Saladin» PP. 18 - 28.

(٣) Stevenson «Crusaders in the east» PP. 64 - 84 - 87.

(٤) Gibb. Damascus Chronicle of the crusades P.99 N.40

(٥) Fink Mawdud of Mosul. Precursor of Saladin P.18 «The Muslim World» XIII - 1953

(٦) الأتابكية، يحكمها الأتابك وهو الأمير الوالد وهي من مقطعين هما «بك» وهو الأمير و«تا» أي الوالد، وهذا اللقب كان يعطي لمن يفوضه السلطان بتربية أحد أولاده الصغار، وكان الأتابك يدير باسم الوالد المدينة التي كانت العادة أن يوليها السلطان لابنه ثم توسعوا في معنى هذا اللقب ومنحوه لأول المتوظفين لأمير الجيوش، ثم صار السلطان يعطيه للعظماء كلقب شرف.

انظر ــ ابن العبري جرجريوس الملطي «تاريخ مختصر الدول» ص ١٩٨ حاشية ١.

(٧) Cahen «The Turkish invasion» P.169

(٨) Fink «op-cit» P.19

(٩) المعروف أن بوهمند قد وقع في كمين دبره له الأمير الدانشمندي غازي كمشتكين سنة ١١٠٠م فتم أسره وذبح رجاله ــ انظر

Matthiew of Edessa «R.H.I. ARM. Vol.I P.52.

(١٠) Grousset «Histoire des les Croisades» T.I. P.402.

(١١) رنسمان «تاريخ الحروب الصليبية» ج ٢ ص ١٧٣ ترجمة د/الباز العريني.

(١٢) ابن الأثير «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» ص ١٦.

(١٣) ابن الأثير «الكامل في التاريخ» ج ٨ ص ٢١١ حوادث سنة ٤٩٥هـ.

(١٤) رنسمان «تاريخ الحروب الصليبية» ج ٢ ص ١٧٧.

(١٥) Fink «The Foundation of the Latin States» P.393.

(١٦) أحد زعماء العرب يطلق عليه أمير العرب كان حاكماً على الحلة وواسط بالعراق انظر عاشور «الحركة الصليبية» ج ١.

(١٧) ابن القلانسي «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٦٠.

(١٨) احتاج جاولى هذه الفدية لمواجهة الأمير مودود بن التونتكين الذي وجه إليه السلطان محمد السلجوقي لانتزاع الموصل منه.

انظر رنسمان «المرجع السابق» ج ٢ ص ١٨١.

(١٩) ابن الأثير «الكامل» ج ٨ حوادث سنة ٥٠٠هـ.

(٢٠) ابن الأثير ــ نفسه ج ٨ حوادث سنة ٥٠٢هـ.

(٢١) ابن القلانسي «الذيل» ص ١٦٠.

(٢٢) ابن القلانسي ــ نفسه.

ابن الأثير ــ نفسه.

(٢٣) ويذكر ابن الأثير في «التاريخ الباهر» أن عماد الدين زنكى كان يخدم مع جاولىٰ سقاوة. فلما سمع بما حدث في الموصل تركه مع غيره من الأمراء. انظر ص ١٦.

عن الموضوع نفسه «Fink» Mawdud of Mosul.

Precursor of Saladin PP.18 - 28.

(٢٤) Fink «The Foundation of the Latin States» P.392.

(٢٥) لقد تم أسر بوهمند حاكم انطاكية على يد غازي كمنتكين الدانشمندي سنة ١١٠٠م أثناء توجهه لنجدة ملطية من سيطرة الأتراك.

انظر عاشور «الحركة» ج ١ ص ٣٧٧.

(٢٦) Fink «The Foundation of the Latin States» P. 393.

(٢٧) Grousset «op-cit» P. 401.

(٢٨) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٤هـ .

(٢٩) Fink «The Foundation of the Latin States. P. 393.

(٣٠) Ibid.

(٣١) Michael Le, Syrian «op-cit» T. PP. 195-196.

(٣٢) طبقاً لما أورده متى الرهاوي «فان بلدوين كان يرفض أن يستلم حكم الرها كأقطاع ممنوح له من قبل تانكرد حتى لايصبح تابعاً له، ويذكر أن أنانية تانكرد قد أعمته عن حقيقة هامة وهي أنه إذا تحالف هو وبلدوين دي بورج مع جاولي المنشق عل السلطنة السلجوقية، . فسيتمكنوا جيعهم من توجيه ضربة قاصمة للسلطنة السلجوقية» Matthew of Edessa «op-cit» PP.85, 86.

(٣٣) Fink «op-cit» P, 394.

(٣٤) Ibid.

(٣٥) رنسمان «المرجع السابق» ج ٢ ص ١٥٨ .

(٣٦) ابن القلانسي «ذيل ترايخ دمشق» ص ١٦٧ .
ابن العبري «تاريخ مختصر الدول» ص ١٩٩ .

(٣٧) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٦٩ .

(٣٨) نفسه .

(٣٩) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٥هـ.

(٤٠) Fink «Mawdud I of Mosul» P.20

(٤١) لقد تأخر وصول بلدوين الأول لأن انتقاله من بيت المقدس إلى الرها استغرق شهر وانتظر كذلك حتى تمكن من حشد قوى الصليبيين وشاركهم أيضاً كوغ باسيل الأرمني حاكم كيسون. Fink «Ibid» P.20.

(٤٢) ابن القلانسي «نفسه».

(٤٣) رنسمان «المرجع السابق» ص ١٨٩ .
وقد حدثت نفس الخطة في الماضي عندما قام جاولي سقاوة بتدبيرها لبوهمند الأنطاكي وبلدوين دي بورج حاكم الرها وفي نفس المكان سنة ١١٠٤م، وكما حدث في الماضي السحيق عندما دبر البارثيون ذلك للقائد الروماني كراسوس سنة ٥٣ ق.م انظر Fink «Mawdud» P.20.

(٤٤) ابن العديم «ربذة الحلب» ج ٢ ص ١٥٤ .

(٤٥) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٦٩ .

(٤٦) Fink «Mawdud» P. 20.

(٤٧) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٤هـ.

(٤٨) نفسه .

(٤٩) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٧٣ .

(٥٠) نفسه .

(٥١) نفسه .

(٥٢) ابن الأثير «نفسه» ج ٨ ص ٢٦٣ حوادث سنة ٥٠٥هـ.

(٥٣) نفسه .

(٥٤) ابن القلانسي «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٧٤ يذكر ابن الأثير في «التاريخ الباهر» ـ أن عماد الدين زنكى قد رافق مودوداً في

حملة الرها، ويذكر أن مودوداً لم يتمكن من فتحها حيث كان فتحها عقيلة ومكرمة وفضيلة قد ادخرها الله سبحانه وتعالى للشهيد زنكى.

فاستوضحت سبل الآمال حايدة ⁂ عن الملوك إلى أعلاهم حسبا
أبرهم فضلاً أغمرهم بذلاً ⁂ أفخرهم أبدا فعلا ومنتسبا
أشم أشوس معتند وياسرا دقه ⁂ على الممالك مرخى دونها الحجبا
ممتنع الغر معمور الفناء به ⁂ مظفر العزم والآراء منتخبا
من معشر طالما شبوا بكل وغي ⁂ نارا يظل أعاديهم لها حطبا

(٥٥) ابن القلانس «نفسه» ص ١٧٥ . Matthew of Edessa «R.H.C.» A.R.M. Vol I P.97.

(٥٦) يذكر Fink أن أهم نتيجة لهذه الحملة هي أنها أضعفت امارة الرها الصليبية انظر «Mawdud» P.21 ويذكر المؤرخون أن رضوان خاف من وصول مودود حتى لايفقد استقلاله بإمارته المحلية، لذلك تحالف مع الباطنية الشيعة، ولم يعبأ بالوحدة الإسلامية وشعور المسلمين السنة الذين يمثلهم مودود. Fink «Ibid» P.22.

(٥٧) ابن الأثير ج ٨ ص ٢٦٣ حوادث ٥٠٥هـ .
ابن القلانس ص ١٧٦ .

(٥٨) ابن القلانس «نفسه» ص ١٧٠ .

(٥٩) Fink «Mawdud» P.21.

(٦٠) ابن القلانس «نفسه» ص ١٧٥ .

(٦١) نفسه ص ١٧٧ .
ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٥٠٥هـ.
ابن العديم «زبدة الحلب» ج ٢ ص ١٦٠ .

(٦٢) ابن القلانس «نفسه» ص ١٧٧ .

(٦٣) Fink «Mawdud» P.22
ابن العديم «زبدة الحلب» ج ٢ ص ١٦١ .

(٦٤) ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٥٠٥هـ.
ابن القلانس «نفسه».

(٦٥) ابن القلانس «نفسه».
ابن الأثير «حوادث سنة ٥٠٥هـ.
ابن العديم «زبدة الحلب» ج ٢ ص ١٦٠ .

(٦٦) رنسيان «المرجع السابق» ج ٢ ص ١٩٨ ، Matthew of Edessa P.275.
Michael le Syrien «op-cit» Vol III P.205.

(٦٧) Albert of Aix R.H.C. occ IV. P.683.

(٦٨) ابن القلانس «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٧٧ .

(٦٩) نفسه ص ١٧٧، ص ١٧٨ .
ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٥هـ.
ابن العديم «زبدة الحلب» ج ٢ ص ١٦١ .

(٧٠) يهاجم ابن الأثير طغتكين بقوله «أنه عندما اجتمع بالأمير مودود اطلع من الأمراء على نيات فاسدة في حقه، فخاف أن تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سراً» ويبين كذلك أن هذه الحملة قد باءت بالفشل في حين أن ابن القلانسي يؤكد على العلاقة الوطيدة بين القائدين ويصف المؤرخ الفرنسي جروسيه طغتكين بأنه الحليف غير الوفي لمودود. Grousset «op-cit» T.I. P.266,

(٧١) ابن الأثير «الكامل» ج ٨ حوادث سنة ٥٠٦ هـ.

(٧٢) ابن العبري «تاريخ مختصر الدول» ص ١٩٩.

(٧٣) عاشور «الحركة» ج ١ ص ٣١٠.

(٧٤) Fink «Mawdud» P.23

(٧٥) ابن القلانسي «ذيل تاريخ دمشق» ص ١٨٢.

(٧٦) ابن الأثير «نفسه» حوادث سنة ٥٠٤هـ.

(٧٧) عاشور «الحركة الصليبية» ج ١ ص ٣٠٤.

(٧٨) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٤.

(٧٩) Matthew of Edessa R.H.C. ARM. T.I P.106.

(٨٠) Grousset «op-cit» P.484.

(٨١) ابن العديم «زبدة الحلب» ج ٢ ص ١٦٠.
حبشي «نور الدين والصليبيون» ص ١٧.

(٨٢) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٤.
من التهم التي لفقت على مودود أنه سيخرج عن طاعة السلطان السلجوقي ويعمل لحسابه الخاص، وأنه تحالف مع الأتابك طغتكين «وانهما أصبحا يداً واحدة وآراؤهما متوافقة، واهواؤهما متطابقة».

(٨٣) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٧هـ.

(٨٤) العريني «الشرق الأوسط والحروب الصليبية» ص ٤٦٢. Grousset «op-cit» T.I. P.487.

(٨٥) ابن القلانسي ص ١٨٤. Fink «Mawdud» P.23.

(٨٦) نفسه.

(٨٧) عاشور «الحركة الصليبية» ص ٣١١.

(٨٨) عاشور «الحركة الصليبية» ص ٣١١.
الأقحوانة شبه جزيرة يصنعها نهر الأردن مع نهر اليرموك جنوبي بحيرة طبرية ويعلق الأستاذ Fink على الأقحوانة التي اختارها مودود، بأنها هي نفس المكان الذي اختاره بعده صلاح الدين الأيوبي، وكسبت شهرتها بعد أن تمكن عن طريقها من دخول مدينة بيت المقدس في حملته المظفرة «حطين» سنة ١١٨٧م. Fink «Mawdud» P.23.

(٨٩) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٥.
ابن العديم «زبدة الحلب» ج ٢ ص ١٦١.

(٩٠) Fulcher of Charter. «op-cit» P.568-569.

(٩١) Grousset «op-cit» P.484-494.

(٩٢) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٦. Albert of Aix «R.H.C.» occ. IV P.696.

٩٣) العريني «الشرق الأوسط ص ٤٦٣.

(٩٤) Fulcher of Charter «op-cit» PP. 572-574.

(٩٥) عاشور «الحركة الصليبية» ج ١ ص ٣١٣.
(٩٦) Fink «Mawdud» P.24.
(٩٧) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٦ . Fulcher of charter «op-cit» P.575.
(٩٨) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٧ .
(٩٩) Fink «Mawdud» P.25.
(١٠٠) Fink «Mawdud» P.25.
(١٠١) Ibid.
(١٠٢) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٧ .
(١٠٣) ابن الأثير «نفسه» حوادث ٥٠٧هـ.
(١٠٤) ابن الأثير «نفسه».
(١٠٥) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٧ .
(١٠٦) سبط بن الجوزى «مرآة الزمان» ج ١ ص ٤٢.
ابو المحاسن «النجوم الزاهرة» ج ٥ ص ٢٠٧ .
(١٠٧) Fink «Mawdud» P.26,
(١٠٨) Fulcher of Charter «op-cit» P.578.
(١٠٩) Albert of Aix, R.H.C. occ. 10. P.700,
(١١٠) Matthew of Edessa R.H.C. ARM. I PP.91-100-104,
(١١١) ابن الأثير «الكامل» حوادث سنة ٥٠٧هـ.
«التاريخ الباهر» ص ١٨ .
(١١٢) ابن القلانسي «نفسه» ص ١٨٨ .
(١١٣) العريني «الشرق الأوسط» ص ٤٦٤ .
(١١٤) حبشي «نور الدين والصليبيون» ص ١٤٠ .
(١١٥) حسين مؤنس «نور الدين» ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

قائمة المصادر و«المراجع العربية»

(١) ابن الأثير الجزرى «أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الملقب بعز الدين ت. ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.
ـ الكامل في التاريخ ـ بيروت سنة ١٩٨٠م.
ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ـ تحقيق عبد القادر أحمد طليمات. القاهرة سنة ١٩٦٣م.
(٢) ابن الجوزى «أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي» ت. ٥٩٧هـ/١٢٠١م ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٨ ـ ٩ ط. حيدر اباد ـ ١٣٥٩هـ.
(٣) ابن العبري «جرجريوس الملطي» أبو الفرج بن هرون. ت. ٦٦٠هـ/١٢٨٦م.
ـ تاريخ مختصر الدول ـ بيروت سنة ١٨٩٠م.

(٤) ابن العديم «كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله» ت. ٦٦٠هـ/١٢٦٢م.
ـ «زبدة الحلب في تاريخ حلب» جزان ـ تحقيق سامي الدهان.
دمشق ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
(٥) ابن القلانسي «أبو يعلى حمزة بن القلانسي» ت. ٥٥٥هـ/١١٦٠م.
ـ ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت ١٩٠٨م.
(٦) أبو المحاسن «جمال الدين يوسف بن تغرى بردى. ت. ٨٧٤هـ/١٤٦٩م.
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة سنة ١٩٣٠م.
(٧) حبشي «حسن».
ـ نور الدين والصليبيون ـ القاهرة سنة ١٩٤٨م.
(٨) رنسهان «ستيفن».
ـ تاريخ الحروب الصليبية ـ ج٢ بيروت سنة ١٩٦٧م.
(٩) صبرة «عفاف» تحت الطبع.
ـ دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ـ القاهرة سنة ١٩٨٦م.
(١٠) عاشور «سعيد عبد الفتاح».
ـ الحركة الصليبية. جزان ـ القاهرة سنة ١٩٧٨م.
(١١) مؤنس حسين.
«نور الدين» ـ القاهرة سنة ١٩٥٩م.

1) Albert. of Aix. "Liber Christianae expeditione ereptione, emundatione, restitutione, sanctae hierosoly mitanae, ecclesiae."
2) Cahen C. The Turkish Invasion. in Setton "A History of the Crusades." Vol. I. Wisconsin, 1969.
3) Fink. H.S. The Foundation of the Latin States. in Setton, 1969. Mawdud I of Mosul, precursor of Saladin. **The Muslim World** XLIII, 1953.
4) Fulcher of Charter. Historia, Hierosoly mitanae ecclesiae. Edited by Heinrich Hagenmeyer Heidelberg, 1913.
5) Gibb. A.R. The Damascus Chronicle of the Crusades. London, 1932.
6) Grousset. R. Histoire, des Croisades. 3 Vols. Paris, 1936.
7) Matthew of Edessa. Extraits de la chronique de Matthew d'Edesse. R.H.C. Arm. 1.
8) Michel les Syrien. Chronique. Edited and Translated by J.B. Chabat. 4 Vals. Paris, 1899-1910.
9) Stevenson. W.B. Crusaders in the east. Cambridge, 1907.